المسرح
فى روسيا
وألمانيا وإنجلترا

- ١ -

خطابان إلى جون سيمار

عزيزى سيمار :

طلبت إلى عندما كنت أغادر فلورنسة أن أرسل إليك بطرف من أنباء المسارح التى سوف أراها فى ألمانيا وفى إنجلترا ، وفى روسيا . . ولم يكد يستقربى المقام فى ميونخ حتى رغبت فى إرسال أطراف من هذه الأنباء تكفى لملء ثلاثة أعداد من صحيفتكم : القناع The Mask .

وما كدت أبلغ أمستردام حتى أردت أن أرسل إليك بأنباء أكثر ، فأما وأنا فى إنجلترا الآن ، فمن الضرورة الكبرى ألا أتأخر عن إمدادك بتلك الأنباء أكثر مما تأخرت .

النشاط الفنى فى المسرح الألمانى منذ سنة ١٩٠٨:

وأنا لا أقصد أن أكتب إليك عن الفن المسرحى ؛ لأن الفن المسرحى لا وجود له على الإطلاق ، بيد أن فى وسع الإنسان أن يكتب عما فى المسرح من نشاط ومَوَات ، فإذا سألتنى : وأين تجد المسرح فى أنشط حالاته ؟ أجبتك : إن ذلك فى ألمانيا . والنشاط المسرحى فى ألمانيا ليس نشاطا يدفعه الدافعون فيندفع فحسب ، بل هو نشاط منظم ذو خطة ونسق ، وهذا الجمع بين العاملين سيتقدم بالمسرح الألمانى فى مدى عشرين عاما إلى المرتبة الأولى بين المسارح الأوربية . . وأنا أصدر فى حكمى هذا عما رأيت ، وليس عما سمعت ـ وهذا هو ما رأيته فى ميونخ .

مسرح ميونخ :

لقد رأيت ثمة امراء يخلعون أسماءهم على الفرق ، ويبذلون أموالهم فى سبيل السير قدما بالمسرح ؛ ولقد شاهد بناء جديدا أقامه فى ميونخ المهندس المعمارى، البروفيسير لتمان. لقد زرت هذا المسرح من عهد قريب، وفى وسعى أن أؤكد أنه من الطراز الأول، وأنه ليس من هذه المبانى السخيفة، ذوات الشرفات العديدة التى تقع إحداها فوق الأخرى. والتى تشمل عُمُدا مذهبة أو مرمرية لاداعى إليها ،أو المليئه بالستائر والأسجاف المخملية أو الحريرية التى لا لزوم لها ، أو الثريات الضخمة ومحال الفرقة الموسيقية المألوفة والمنصة العادية . . إنه مسرح غير المسارح المألوفة من جميع وجوهه ، ومع هذا فأنت تجد أمراء يعضدونه ماديا وأدبيا ، دون أن يعتبر تعضيدهم هذا عملا من الأعمال الشاذة . . وأكثر من ذلك ، أن الشعب يقبل على المسرح ويمده بتأييده ، ولقد حاولت أنا نفسى أن أحصل على مقعد لحفلة المساء فاستحال الحصول عليه بالرغم من أننا كنا فى آخر الموسم ، وبفضل البروفيسير لتمان استطعت زيارة المسرح بالنهار ورأيت الصالة . وشاهدت ما تفتق عنه الذهن من إبداع فى تركيب المناظر ومعدات الإضاءة .

وكان هذا كله مغايرا لما فى المسارح الأخرى . . وليست المسألة هنا هى ما إذا كانت هذه التراكيب وتلك المعدات جيدة أو رديئة ، إنما الشىء الوحيد الذى ألفت إليه الأنظار هنا أن هذه التراكيب وتلك المعدات بالرغم من حداثة فكرتها ، وعدم جود مثيل لها من قبل ، فإنها تقابل بالتعضيد الذى لا تهاون فيه ولا مخاذلة . . التعضيد الصادر من صميم قلوب الأهالى فى مدينة ميونخ . .

المسرح فى إنجلترا :

ثم أصل إلى إنجلترا لأجد أنه ما من مدينة إنجليزية تبذل هذا البذل الألمانى الصادر من سويداء القلوب لأى ابتكار جديد مما قد يخامر ألباب الجيل الناشىء الإنجليزى ، وليس فى هذا إلا الخزى الشديد ـ إن لدينا فى إنجلترا ، كما يخيل لى ، الكثير من الذكاء والكثير من الذوق ، وربما الكثير من العبقرية ، كما فى البلاد الأخرى الجمال ، يا عزيزى سيمار ، جمال إنجلترا شىء بالغ حدود العظمة . . إن جمال شعبها جمال مذهل . . ولكن يبدو أن الوسن ملم بمقدرة هذا الشعب إلى حدٍّ ما .

إنى أعتقد اعتقاداً جازما أن الفنانين جميعا إما يلعبون الجولف أو يصيدون الدجاج البرى ، ويمكننى أن أتخيل أنهم يقولون لبعضهم البعض : إنهم يفضلون الانطلاق فى الخلاء على الجلوس فى غرفة يكونون فيها موضع الزراية من عدد من الزغب (أو جرذان الأشجار) الأغنياء من ذوى الألقاب ، ممن لم يخطر فى بالهم قط أن فى الحياة ما هو أثمن من الاسترسال فى السبات العميق . لقد كنت أحسب ، قبل أن أبرح إنجلترا ، أنها غلطة أصحاب المسارح من الممثلين ورجال المسرح ، فالأولون كانوا يلوحون لى قوما انطوت نفوسهم على أبشع الخبث ؛ على أن اللوم لا ينبغى أن يوجه إلى أصحاب المسارح الممثلين على الإطلاق ، بل الأمة نفسها هى التى تستحق اللوم . . وبالأحرى السادة السراة من الإنجليز . ولكن أى حق لى فى أن أقول هذا القول ؟ لعل الذى حدا بى إلى هذا القول هو إقامتى فى ألمانيا حوالى سنوات أربع ، ثم زيارتى لروسيا ولهولنده . . ثم . . وهذا فضلا عما ذكرت . . إقامتى لمدة يومين آخر الأمر فى مدينة ميونخ ، والإنسان يرى هذه الأشياء ويتحقق منها فى لمحة ، والإنسان ينتظر ، ويتفرج ويدقق البحث . . ويتعجب . . ثم تصبح هذه الأشياء كلها فجأة واضحة أشد الوضوح .

بعض روايات مسرح ميونخ :

وليس فى مقدورى أن أتحدث إليك عن جميع المسرحيات التى يخرجونها هنا ، ولكن بحسبى أن أحدثك هنا عن « فاوست » التى يبدءونها من الساعة السادسة مساء حتى لا يضطروا إلى اختزالها ؛ وعن مسرحية العجائب : Das Wondertheater (تلك المسرحية التى لعل الكثيرين لم يسمعوا عنها ، وهى لذلك الكاتب سرفنتس الذى لا يعرفه إلا القليلون) ؛ أو مسرحية الألمانى الصغير Die Deutschen Kleinstadter، أو مسرحية : « الليلة الثانية عشرة » ؛ وسأحدثك ، فضلا عن هذه المسرحيات عن مسرحية « ملكة مايو »، ثم عن مسرحية « أسطورة الرقصة الصغيرة »، ومسرحية «الهربيتر سكونز » وروايات طريفة أخرى .

وهذه المسرحيات من عمل المصورين والممثلين ، لكنهم ليسوا من الممثلين

المغمورين ، ولا من الممثلين الذين يسمون أنفسهم مستقلين ، فهم ممثلو المسرح الملكى . وبالأحرى هم أولئك الذين يطلقون عليهم اسم « الممثلين التقليديين ». وإنى لأسائل نفسى ، إذا تهيأ لإنجلترا مثل هذا الرجل الذى أوتى من الكرم ما يجعله يبنى فيها مسرحا فنيا ، فهل تسمح المسارح الإنجليزية الكبرى بإعارة ممثليها لهذا المسرح ؟ ثم إن الفرقة الموسيقية فى مسرح ميونخ (الفنى) الصغير ليست مجرد فرقة ملفقة أو مرتجلةScratch، بل إنها فرقة ميونخ الموسيقية لجماعة الهواة !!

فمن مثل هذه البداية إذن . . من مثل هذا المزيج من الممثلين والموسيقيين والرسامين (وناهيك بالمخرجين المسرحيين ، وأحسن الذين يمكن العثور عليهم) لابد أن ينتظر الشىء الكثير ، ولقد كان فى مرجونا نحن أيضا أن ننتظر الشىء الكثير من مثل هذا المزيج لو أن شيئا قام على غراره فى إنجلترا . وأنا ، وإن لم أشهد التمثيل ، فإنى واثق من أنه ، لا جرم ، كان شيئا بديعا بقدر بادى الوضوح . . فإذا لم يستيقظ الغطاريف الإنجليز النُّجب ، مُطَّرحين أردية العظمة والغطرسة ليضفوا عليهم أردية الفضل والخلق الحميد ، فلن تقوم للمسرح قائمة ! . . حين يأتى ذلك اليوم الذى يلتفت فيه السيد من السادة الإنجليز العظماء فيجد أنه قد خسر أمواله جميعا ، وأن شعبا آخر قد انتزعها منه ثم يتلفت حوله فى يأس وقنوط باحثا عن أحد يمد إليه يد المعونة ـ وعند ذلك يمد عينيه إلى الفنانين والعمال . وأنا لست اشتراكيا ، بل إنى أهوى فكرة وجود اللوردات الإنجليز الذى يتيهون بعظمتهم ؛ ولكن إنجلترا لم يعد فيها هؤلاء اللوردات المتغطرسون بأساليبهم (المنفوخة !) المتغطرسة . . إنهم جميعا نُوّم يُهوِّمون بوجوههم الباهتة ولحاهم البيض ، فى تنقلاتهم فيما بين مدننا ، من دوفر إلى كارليل ، وكل منهم يتمتم قائلا : « حمدًا لربى ! لقد تركنى أبى فى نعيم ، فلن أجشم نفسى فى الدنيا عناء» . . لكنهم ، بلا مراء ، سيلقون عناء أشد مما مّر بهم ، وإن كانوا فيما يبدو لى ، لا ينتظرون أن يحل بهم شىء منه ؛ ولكن . . كلا يا عزيزى سيمار ، فأنا لست اشتراكيا ، أو . . إنى لم أصبح اشتراكيا بعد !

عودة الى مسرح الفنان بميونخ :

والآن . . فنصل حديثنا عن مسرح ميونخ ـ أو مسرح الـ Munchner Kuntsler-Theaterومعناه : مسرح الفنان بميونخ .

إن ثمة شيئا تنخلع له أفئدة فريق معين من الفنانين الإنجليز . . ولعله أحسن فريق منهم . . مما قد يسمونه عرضاً : « مسرحاً فنياً » . . هكذا ! . . أى أن تكون فاء هذا المسرح فاء كبيرة . . لكنهم لا يسمحون للفن المسرحى فى إنجلترا أن يحمل فاء كبيرة ، كما يسمحون لسائر الفنون الأخرى ! ولقد شهدت كلمة حرب تكتب بحاء كبيرة ، فما عيب الفن المسرحى أن يكتب بفاء كبيرة هو أيضا ؟! . .

فى مسرح ميونخ ، وسأروى لك عنه بعض المعلومات :

إنه مسرح جد صغير ، لكنه جد كامل ، ويبدو أنهم لم يتركوا فيه شيئا للصدفة ، وإنه ليخيل لك أن الجبال والمناظر والأنوار لا تعترض طريقك أنى توجهت ، فكل شىء يبدو كأنه محفوظ فى دولاب . وكانت المناظر التى يزمعون استعمالها معلقة كلها ، ولكنى لا أستطيع أن أصف لك كيف كانت معلقة . كيف بلغت من الإتقان ذاك الحد ، ولا كيف صُنعت بهذه الدرجة من المهارة لقد كان المنظر مركبا لحفلة المساء ، وكانت الكراسى والموائد مغطاة ، ولم يكن يبدو على المناظر ، بالرغم من استعمالها عدة أشهر ، أى شىء من البِلى ، حتى الأركان التى كانت تلتقى فيها قطعتان بعضها ببعض ، كانت تبدو جديدة كيوم ركبت أول مرة . . كان كل شىء يلوح لى جديدا غاية الجدة ، معتنى به غاية العناية ، حتى لقد سحرنى ما شهدت ، وحتى كنت أسمع كل شىء ينطق فى أذنى بهذه العبارة : « إننا نحن الألمان لسنا على استعداد لأن نحكم : هل سيكون الأداء عملا من أعمال الفن أو لن يكون؟ وليس فى وسعنا أن نحكم إن كان الذى سوف يشهد التمثيل عبقريا من العباقرة أو غبيا من الأغبياء ، ولكننا عقدنا العزم على أن يكون كل شىء فى نظام شامل ، سواء أكان الذى يأتى لمشاهدة التمثيل عبقريا أم غبيا ، وعلى ألا يجد هذا المتفرج ما يشكو منه فى ترتيباتنا . وذلك أن عملنا لن يصادف نصيبه الحق من النجاح إن لم نقدم للمتفرج أداة طيبة لهذا العمل (وليس من الضرورى أن تكون أداة فاخرة) » .

كيف وصلوا إلى هذا الإتقان ؟ :

ولعله من الطريف لو كان فى مقدورنا أن نكشف الطريقة التى ينهجها الألمان فى قيامهم بهذا العمل . وقد يكون مما يبعث الغبطة فى النفس معرفة المسئول عن ذلك النظام كله ، وهل هو لجنة ، أو هو التثقيف القومى ، أو أنه يقوم على الشخصية الفردية . . ومبلغ علمى أنه التثقيف القومى . . الإدارة القويمة . . الأوامر العسكرية الصارمة : « إلى اليمين . . دُرْ ! سُر عَتلى . . مرْش ! . . إلى اليمين . . انظر ! » أو شىء من هذا القبيل : وكان يبدو لى أنهم أتوا بالتراكيب الموجودة فى منصة المسرح من جميع أرجاء العالم . . لأن هذه هى سمة الألمان المميزة . . ألا يرفضوا شيئا يعتقدون أنه ربما أفادهم فى عملهم .

وصف بناء المسرح :

وأنا إلى الآن لم أحدثك عن البناء نفسه . . إنه لبناء بهى المنظر ، ولقد يقتضينا وصف محاسنه كثيرا من الوقت ، ولكن لا يفوتنى أن أنبه إلى أن جمال هذا البناء ثانوى الأهمية . . إذ تتركز عظمته فى كونه بناء عملى جم النفع ، فلا تكاد تدخله حتى يواجهك شباك التذاكر ، ثم تجد على كل من الجانبين درجا يؤدى بك إلى المقاعد ، وقد دخلت العلامات والكلمات فيما يشبه اللافتة وتعلق على الحائط . . وثمة أمور أخرى أكثر من هذه ينبغى أن أحدثك عنها ، وسأكتب إليك مرة ثانية عن هذا المسرح وعن المسارح الأخرى . . ولنسأل الله أن يوفقنا فى إنجلترا إلى القيام بعمل مشترك من قبيل ما رأيت فى ألمانيا لبناء مسرح حديث . . وذلك بعد أن يفهم كل أرستقراطى إنجليزى ، أولا وقبل كل شىء ، النصيب الذى يجب أن يضطلع به فى العمل ؛ ثم أن يفهم المنظم هو الآخر نصيبه فيه ، وأن يدعى الفنان آخر الأمر ليملأ المسرح الجميل ذا الخطة بآثاره الجميلة .

حاشية : أذكر ، والشىء بالشىء يذكر ، أننى حين كنت ألج باب المنصة فى ذلك المسرح لاحظت أنهم علقوا لافتة كتبوا عليها : Streng Verboten Sprechn ومعنى ذلك : « الكلام ممنوع منعاً باتاً » وقد خيل لى ، لأول وهلة أننى فى السماء ، وحسبت

«أنهم قد اكتشفوا الفن المسرحى آخر الأمر » ولكن : لا؛ فهم لم يتقدموا إلى هذا الحد فى الفن نفسه ، ولعل فى هذا القول شيئاً من الغرابة ، غير أنى أقول مع ذاك ، إن هذه العبارة هى هاديهم إلى ذلك الفن .

إنجلترا ـ ١٩٠٨

ـ ٢ ـ

المسرح فى روسيا وَفى إنجلترا

عزيزى سيمار

كان فى نيتى أن أكتب إليك عن المسرح فى إنجلترا . ولعلى أستطيع يوما أن أجد ما يلهمنى فأخط على بطاقة من بطاقات البريد المصورة (كارت بوستال !) بالكلمات القليلة التى لابد منها للتعبير عما يخامرنى من الأفكار عن حالة المسرح الإنجليزى . . أما اليوم فيخوننى القلم والتعبير .

وأنت تعلم أننى محيط بأحوال هذا المسرح ، وبرجاله المرحين ، الذين تتم مخازيه على أيديهم ؛ إن أولئك مصدر للهو عظيم ، وفى وسعى أن أكتب لك كتبا برمتها عنهم وعن لطائفهم المسلية .

وأنا الآن فى روسيا ومقيم فى تلك المدينة الجياشة بالحياة . . موسكو ، يرحب بى ممثلو المسرح الأكبر هنا ، وهم نفر من أجل رجالات العالم ، وفضلا عن كرمهم الحاتمى الذى يبهر اللب ، فهم ممثلون يبهرون اللب كذلك .

عظماء الممثلين الروس وحدهم :

فهذا سولرزتسكى ، وهذا موسكوينِ ثم آرتم ، وليونيدوف وكاتسخالوف ووسخوسكى ، ولسخسكى ، وبالف ، وأداسخف ؛ ثم فراوليلينا ، اللذيذة جدا ؛ ثم فراونِبرَّ ، التى ترتفع إلى أوج الجلال متى أرادت ، ونفر من ممثلى مسرح العصفور الأزرق ، ذوو مهارة وجد ، ولا سيما فرولين كونى . . أضف إلى هؤلاء تلك المائة من

الممثلين الآخرين والممثلات الأخريات الذين يرجى أن تتألف منهم قوة مسرحية متحدة ذات بأس ؛ وإنى لأؤكد لك أنهم جميعا يد واحدة وذوو بصيرة مستنيرة ؛ ويتسمون بالغيرة على عملهم يكبون دواما على مسرحيات جديدة كل يوم ؛ ويتمرسون دواماً بأفكار جديدة فى كل دقيقة . . وعلى هذا النحو يمكنك أن تكوّن لنفسك عنهم الفكرة التى تحلو لك .

مسرح الفن ومخرجه ستانسلافسكى :

فلو أننا أمكننا أن ننجح فى إيجاد مثل هذه الجماعة فى إنجلترا ، لأمكن أن يصبح شيكسبير قوة عارمة من جديد ؛ لأنه على ما نحن فيه ، لا يزيد على كونه مجرد سلعة تجارية . ومسرح الفن هنا (وهو الذى أكتب عنه) مسرح حى . . مسرح له شخصيته وله فطانته وعرفانه .

ولقد حقق مخرجه ، قسطنطين ستانسلافسكى ، المستحيل ؛ إذ أسس ـ بصورة ناجحة ـ مسرحا لا يتسم بالسمة التجارية . . وهو يؤمن بالمذهب الواقعى بوصفه وسيلة يستطيع بواسطتها أن يترجم عن سيكلوجية الكاتب المسرحى ، وإن كنت أنا لا أومن بمثل ذلك . وليس هذا مجال البحث فى نصيب هذه النظرية من الصواب أو الخطأ : على أننا نعثر على الجواهر فى التراب أحيانا ، وفى مقدورنا أحيانا أن نرى السماء إذا نظرنا إلى أسفل !

وبحسبى أن أقول إن الذى يصنعه هؤلاء الروس فى مسرحهم ، شىء يبلغون به درجة الكمال ، وهم لا يبالون ، كما لا يبالى الأباطرة بالوقت أو المال أو الجهد أو بما ينفقون من فكر ويعانون من صبر ؛ وهم لا يحسبون كما لا يحسب الأباطرة الأماثل إنهم قد فعلوا كل ما يمكن فعله ، حين لم يفعلوا شيئا ، اللهم إلا مجرد إنفاق مبلغ بعثروه فى عمل الزخارف وشراء الآلات . . وإن كانوا لا ينسون العناية بكل أولئك .

إنهم يقومون بمئات التداريب للمسرحية الواحدة ، وهم لا ينفكون يغيرون ويبدلون المشهد الواحد حتى يتسم بالتوازن فى نظرهم ؛ وهم يتمرنون ثم يتمرنون ثم يتمرنون ، وهم يفتنُّون فى استنباط الدقائق العديدة فى عناية فائقة وصبر بالغ . . وهذا كله فى فطنة نيرة . . فطنة روسية نيرة !

فالجد والشخصية خصلتان ستؤديان بمسرح الفن الروسى إلى نجاح لا حد له فى أوربا وفى كل مكان . ولقد ولد مسرح هؤلاء الروس وفى فمه ملعقة فضية ، وعمره الآن لا يزيد على عشر سنوات ، ومع ذاك فلا يزال أمامه أجل مديد ، وعندما يبلغ أشده فسوف يكون مؤسسة راسية البنيان ؛ وعليه ، لكى يبلغ هذه المنزلة ، أن يحرص على ألا يغازل الشعر ، وألا يحتضنه ! ولكنه حالما يبلغ سن الرجولة ، وجب أن يستيقظ فيه وعى جديد ، ويجب أن ينشر أجنحته ، ويحلق بجناحى الخيال فى هذه المعارج الأفسح أفقا ، والأكثر انطلاقا . . المعارج التى ليس لها اسم تعرف به ، والتى هى فى ذاتها نهاية النهاية .

الخبلاء والغفلة والقائمون على المسرح الإنجليزى :

ولعلى أكثر تعاسة مما كنت فى أية فترة فى حياتى من قبل ، بسبب ما أنا مدركه من خمود إنجلترا وخمود مسرحها ، ذاك الخمود الذى يبعث على القنوط ، وبسبب خبلاء القائمين على المسرح الإنجليزى وغفلتهم ، وغباء كل إنسان تربطه بالفنون فى إنجلترا رابطة ، بل بسبب هذه الرقة الباردة التى يحسبها أهل لندن نشاطا وذكاء فى معالجة هذه الأمور . . ثم بسبب بلاهة هذا الفريق من رجال الصحافة الذى يسمى كل محاولة جريئة لإنعاش الحياة والفن هذيانا و (هلوسة !) . . وبسبب انعدام روح التآخى بين اللندنيين ، وهذه الشهوة المتحكمة التى تغريهم بأتفه الربح مهما كلفهم الحصول عليه من ثمن . إنه لا أمل فى تقدم الممثلين الإنجليز . فنظامهم الإدارى نظام سىء ، وهم لا تهيأ لهم فرصة للدرس أو التجربة ، ثم هم لا يجسرون على الثورة ، وإلا فقدوا معاشهم ، ولهذا فهم يُزجون حياتهم بالضحك ما أمكنهم إلى ذلك من سبيل . . ولكنه الضحك الذى هو بالبكاء أشبه !

روح الجد فى المسرح الروسى..

وروح الاستخفاف فى المسرح الإنجليزى:

إنى ألاحظ أن الممثلين الروس فى مسرح كنتسليرخس Kiintslerisches فى موسكو يشعرون بمتعة ذهنية فى أثناء تأدية أدوارهم أعظم مما يشعر به أى من ممثلى أوربا

الآخرين . وتمثيلهم كله مثير للإعجاب ، وسواء كان موضوع الرواية التى يمثلونها من موضوعات الحياة الحديثة والمشاعر الحديثة ، أو كان من الموضوعات الأسطورية ، فهم دائما يتناولونه تناول الثقات ، وهم يتناولونه دائما تناولا رشيقا بارعا ، فلايهملون شيئا ؛ بل يتناولون كل شىء فى جد ، والجد كما ذكرت ، هو سمة هذا المسرح الروسى الملحوظة . وهو جد لا يلمس له أحد أثرًا على الإطلاق ، ولعل ما عساه يتجلى فى نظرى من جد المسرح الروسى ناشىء من أنى حديث عهد بالإقامة هنا ، ولو طال على العهد فى موسكو لخف عندى أثر ما أحسه من هذا الجد . إن روح الاستخفاف فى إنجلترا هى على ما كانت عليه من القوة منذ ثلاثين عاما ، حينما لفت أ، و. جودون الأنظار إلى ذلك : ففى المسرح نجد المخرجين والممثلين الإنجليز ترتعد فرائصهم من الظهور بمظهر الجد ، فالناس قد يضحكون منهم ، ومن الطبيعى جدا أنهم يخشون حتى مجرد الاهتمام الشديد بعملهم ؛ ونحن نرى الممثل الماهر فى إنجلترا يضحك من دوره ومن نفسه ، ونجده طوال التمثيل يغمز النظارة ، ويلمزهم خشية أن يظن ظان أنه يأخذ التمثيل مأخذ الجد ، فهو يعتقد أن وقوفه على المسرح موقف الجد هو أكثر من جريمة . . بل ـ على حد قول الإسكندر ـ ضلال مبين . أما هنا فى موسكو ، فهم يأخذون أنفسهم بهذا الضلال المبين ، لكنهم يبلغون عن طريقه تلك المرتبة التى جعلتهم أحسن مجموعة من الممثلين اعتلت منصة المسرح الأوربى . .

ستانسلافسكى العظيم :

وهذا هو ممثلهم الأول ستانسلافسكى الذى يفوق فى ذكائه جراسو [1] وإن قل عنه فى قوة الاندفاع المتأججة فيه .

وهذه أمور ينبغى ألا يساء فهمها ، وأحب ألا يذهب بك الظن إلى أن هذا الممثل بارد الطبع أو منفوخ الأوداج ؛ بل لقد يكون من العسير أن نجد ممثلا غيره له أسلوب فى التمثيل أيسر من أسلوبه ، ومع ذاك فهو أسلوب يأتى بثمرة أدنى إلى الإنسانية . إنه أستاذ علامة من أساتذة علم النفس ، وبالرغم من أن تمثيله أقرب التمثيل إلى المذهب

(١) جيوفانى جراسو ـ ممثل إيطالى اشتهر بتمثيل الأدوار الرومنسية الصعبة ، وكان طائر الذكر فى أوربا وأمريكا .

الواقعى ، إلا أنه يتحاشى كل صنوف الغلظة تقريبا ، وهو مشهور بأنه يتسم فى كل ما يؤديه من أدوار بسمات الجلال ، ولا أستطيع أن أجد ما أصفه به خيرا من هذا .

ولقد سرنى أعظم السرور ما شهدته من تمثيل فرقة أونكل وانجه Onkel Wanja ، وإن تكن هذه الفرقة قد أوتيت من المقدرة ما يهيىء لها تمثيل أية رواية بطريقة تثير الإعجاب .

فى مسرحية « عدو الشعب » يرينا ستانسلافسكى كيف يمثل دور الدكتور ستوكمان دون أن تظهر على الممثل أعراض التكلف ، ودون أن يثير تمثيله ضحك نظارته ، أو يكون كليلا جامدا . إن الجمهور ليبتسم طوال وقت التمثيل . اللهم إلا فى الأحوال التى تترقرق فيها الدموع فى مآقيه تأثرا ـ ولكنك لن تسمع منه ذلك الضجيج العالى من الضحك الكريه المزرى الذى تعودنا أن يصك آذاننا فى المسرح الإنجليزى .

موسكو ١٩٠٨

obeikandl.com